

درس شیخنا المحدث محمد یونس الجونفوری رحمۃ اللہ علیہ

بقلم تلمیذہ عبدالاحد بن یوسف الراندری الفلاہی

(ألقى شيخنا هذا الدرس عام ١٤٣٧هـ حين حضر مجلسه الشيخ فريد الباجي الماكني التونسي، وكتبه زميلي مولوي جابر الميواني ثم نقلته من دفتره ونقشته وحقفته وعلقش عليه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أورد الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، الجعفي مولا هم رضي الله عنه هذه

الترجمة

باب ما ذكر في الحجر الأسود

غرض المصنف بهذه الترجمة ذكر فضيلة الحجر الأسود، والدليل عليها أن

خاتم النبيين، إمام المتقين، قائد الغر المحجلين، سيدنا محمد النبي الأمين ﷺ قبل الحجر الأسود واستلمه ففيه فضل عظيم.

أيها الطلبة! إن النبي ﷺ حامل نواه التوحيد، وقائم مقام إبيه إبراهيم الذي

قابل حكومة نمرود الظالمة الغاشمة، ودعاهم إلى التوحيد، فالله سبحانه وتعالى

قيض لنبينا ﷺ النبوة، وجعله خاتم النبيين بل أكمل النبيين ﷺ والدليل على أكمليته

ﷺ أنه لما جعل نبيا انقطعت النبوات كلها، وما بقى في عهده نبي ولا بقيت دعوة، بل

الدعوات كلها انصرفت إلى النبي ﷺ وهو يقول: ”بعثت إلى الأحمر والأسود.“

[قلت: أخرجه محمد بن سعد بهذا اللفظ من حديث عبد الله بن جعفر،

الطبقات الكبرى لابن سعد: ١/٩٢ وأخرجه الحافظ ابن كثير بهذا اللفظ في ضمن

تفسير آية ”قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا“ من حديث أبي موسى رضي الله عنه و

أخرجه مسلم من حديث جابر في المساجد بلفظ ”بعثت إلى كل أحمر وأسود“ الرقم: ٥٢١، والبخاري منه في التيمم بلفظ ”بعثت إلى الناس عامة“ الرقم: ٣٣٥ وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله في الفتح: قيل: المراد بالأحمر العجم وبالأسود العرب وقيل: الأحمر الإنس والأسود الجن، وعلى الأول التنصيص على الإنس من باب التنبية بالأدني على الأعلى لأنه مرسل إلى الجميع وأصرح الروايات في ذلك وأشملها رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم ”وأرسلت إلى الخلق كافة“ انتهى ع. ف. [وقال (الشيخ يونس رحمته الله): وقد ورد في فضل الحجر الأسود حديث رواه الترمذي فقال: ”نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم.“

[قلت: أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقال: حديث ابن عباس رضي الله عنهما حديث صحيح، الرقم: ٨٤٤، انتهى ع. ف.]

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أمرين: (١) نزل الحجر الأسود وهو أشد بياضاً من اللبن (٢) سودته خطايا بني آدم.

ومن المعلوم لديكم أن بين اللفظين ”أبيض“ و”سودته“ تناسبا ظاهرا، هذا أبيض وذلك أسود أي على وجه المقابلة، ولكن جاء رجل متصوف - اسمه محمد بن علي الطائي المشهور بابن العربي - وقال: سودته خطايا بني آدم أي جعلته خطايا بني آدم سيدياً للأحجار فانظر - أيها الطالب - إلى هذا المتصوف، هو يهون أمر الأصنام ويحرك بكلمته أذهان الناس، ويزيل ما وقع في أذهانهم من سوء عبادة الأصنام وهو يقول: فإذا كان الخطأ مسوداً للحجر على جميع الأحجار، فلا بد أن يكون في الخطأ شرف وعزة وكرامة، فلا حرج في عبادة الأصنام، وجعل عبادة

الأحجار حسنة بالإشارة لا بالعبرة.

[قلت: ذكره ابن العربي في الفتوحات المكية] ”الباب الثاني والسبعون في الحج وأسراره“، ونصه ما يلي: إن الله أنزل الحجر الأسود منزلة اليمين الإلهي التي خمر الله بها طينة آدم حين خلقه فسودته خطايا بني آدم، أي صيرته سيداً بتقبيلهم إياه فلم يكن من الألوان من يدل على السيادة إلا اللون الأسود فكساه الله لون السواد ليعلم أن ابنه قد سوده بهذا الخروج إلى الدنيا، كما سود آدم فكان هبوطه هبوط خلافة لا هبوط بُعد، ونسب سواده إلى خطايا بني آدم كما حصل الاجتباء والسيادة لآدم بخطيئته، أي بسبب خطايا بني آدم أمروا أن يسجدوا على هذا الحجر ويقبلوه ويتبركوا به ليكون ذلك كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته لذلك فهذا معنى سودته خطايا بني آدم أي جعلته سيداً، وجعلت اللونية السوداء دلالة على هذا المعنى، فهو مدح لآدم في حق بني آدم، انتهى قول ابن العربي عنه.

وأقول: ذكر بعض العلماء أن الفرق بين القاضي ابن العربي (صاحب أحكام القرآن) وبين سميته الصوفي الشهير (صاحب الفتوحات المكية) أن الأول معرّف بآل التعريف، بخلاف الأخير والواقع أن كليهما معرّف، أما الأول فلا خلاف فيه وأما الثاني فثبت بخطه في نسخة كتابه ”الفتوحات المكية“ المحفوظة في متحف مولانا ب”قونيا“ التركية، أنه كان يكتب اسمه هكذا: محمد بن علي ابن العربي، و صورة خطه موجودة عندي.

وكذا ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٣/٢٨) في ترجمته: ”العلامة

صاحب التوايف الكثيرة..... ابن العربي، نزيل دمشق. ع. ف. [

فقال: تصور- أيها الطالب- أن هذا الرجل كيف حزف الكلم عن مواضعه

وهكذا يحرف هذا الرجل الكلم عن مواضعه وفي جميع كتبه تحريفات والناس يعتقدون فيه اعتقادا كبيرا، وهو الذي كان يدعو إلى وحدة الوجود فإذا كان الوجود واحدا فهذه المخلوقات خرجت منه فكيف الحلال والحرام والطهارة والنجاسة وغيرها؟؟؟ والله تعالى يقول: ”اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق“ فالله خالق وكل ما سواه مخلوقه، وهذا الرجل المتصوف يقول: بل المخلوق جزء من الله - عز وجل -، وهذه أعجوبة ومفسدة كبرى، ولا يتوجه الناس إلى مثل هذه المفاسد، وهم يقولون: فلان كذا وفلان كذا واعلموا أن الدين ليس عند فلان وفلان؛ بل الدين ما جاء من النبي ﷺ لأن الله تعالى يقول في سورة الفتح: ”محمد رسول الله“ والله تعالى أكبر من كل شيء حتى لا يمكن لأحد رؤيته، فسأله موسى عليه السلام وهو من أولى العزم من الرسل: ”رب أرني أنظر إليك“ فقال: ”لن تراني“ وكلمة ”لن“ للنفي المؤكد في المستقبل فقال - لن يمكن - ”ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني“، ثم ماذا وقع؟ قال الله تعالى: ”فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا.“

أيها الطلبة: هذا شأن ربنا فيقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إن النبي ﷺ قال: ”إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، حجابہ النور لو كشفه لأحرقتہ سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.“

[قلت: أخرجه مسلم في الإيمان من حديث أبي موسى، والحديث بتمامه ما يلي: عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابہ النور وفي رواية أبي بكر: النار، لو كشفه

لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، الرقم: ١٤٩ ع. ف.]

وقال: المخلوقات كلها تنعدم وتحترق حين ظهور وجهه تعالى ولا يبقى شيء أمامه، حتى لم يستطع موسى عليه السلام أن يراه فكيف تخرج منه السماء والأرض وغيرهما.

واعلموا أن عقيدة وحدة الوجود عقيدة فاسدة وهي توجب الحلول والاتحاد، ومن اعتقد بالحلول والاتحاد فهو منكر للقرآن والسنة ومنكر لما كان عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم -رضى الله عنهم- ولكن كان ذلك الزمان زمان الصوفية الجاهلين فلذا لم يتكلم عليه أحد إلا ابن تيمية وسراج الدين البلقيني الشافعي والحافظ ابن حجر وغيرهم. ونحن أمثالنا كالدابة الصغيرة نبتس بهذه الكلمات ولا نقول شيئاً وبهذا أكتفي. والله سبحانه أعلم.

[قلت: (١) وأيضاً هذه (عقيدة وحدة الوجود) عقيدة ابن سبعين وابن الفارض والتلمساني وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ودان بنحلتهم.

(٢) [قلت] وأيضاً تكلم على ابن العربي بدر الدين بن جماعة، وخطيب القلعة شمس الدين محمد بن يوسف الجزري الشافعي، والفقيه أبو محمد بن عبد السلام وابن خلدون والسبكي وأبوزرعة العراقي وغيرهم.

ومن يرد المزيد من المعلومات فليراجع "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، و"درأ تعارض العقل والنقل" له، وكتاب تقى الدين الفاسي "عقيدة ابن عربي وحياته". -وصلى الله على النبي الأمي - ع. ف.]

نقمه وحققه وعلق عليه عبد الأهدى بن يوسف السورتي الفلاهي